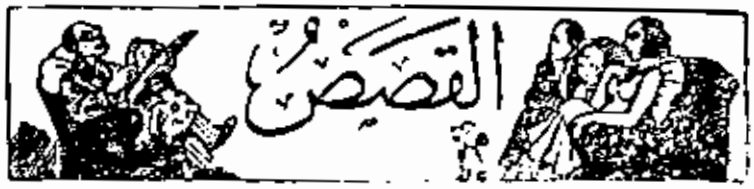

كتاكيت العم طـــون !

في ملهاة لجي دي موباسان

كان كل من يسكن حول مدينة « تورنفنت » يحب العم أنطوني بجيل ، طوني السمين ، طوني العزيز ، أو طون ، كانوا يسمونه عليه تحبباً !

وطون هذا ، رجل سمين ، منفوخ البطن ، أشبه ببرميل نبيذ ، منتفخ الأوداج ، أحمر الوجه ، غائر العينين ، لا تستطيع أن تعرف طوله من عرضه ، ولا عاليه من سافله !

وكان الناس يتساءلون في دهشة : كيف يستطيع الزبون أن يدلف إلى الحانة ، والعم طون ، قد وقف على بابها وسد الطريق ؟!

كان يبيع الكونياك ، وكان ينادي على بضاعته بصوت غاغم — هنا يا رجال ، تجدون أحسن أنواع الكونياك !

وكل له زبائن يترددون على حانته ، لا ليشربوا الكونياك فقط ، ولكن ليستمتعوا إلى نكات العم طون ، ويأنسوا بظرفه ، وخفة دمه ، فالعم طون « ابن نكتة ! » يستطيع أن يحمل حجارة القبر على الضحك ! !

كان من عادته أن يجلس مع زبائنه ، يلتفون هم في حوله ، وبأيديهم أكواب الخمر ، يشربون ، ويضحكون ، فإذا وجد أن أحدهم لا يضحك لنكتة ألقاها ، لمكزه في بطنه ليحمله على الضحك ! كان باقي نكاته ، ويسخر من هذا وذاك ولكن من غير أن يؤذي أحداً ، أو يجرح شعوره !

من أجل هذه الروح المرحة ، أحب الناس العم طون ... أحبوه حباً عظيماً ، ووفدوا عليه من ضواحي بعيدة ليستمتعوا بنكاته ، ويشربوا عنده ما فيه القسمة من أكواب الكونياك التي كان العم طون يقطرها بنفسه !

وكثيراً ما كان يقف على باب حانته ، يحيي هذا ، ويهتف لذاك قائلا : مرحباً ... مرحباً يا ولدي !

كان يدعو كل من يراه يا ولدي ، ولكن الناس كانوا يتساءلون في دهشة ، لماذا لم يرزق العم طون أولاداً ، وقد مضى على زواجه أكثر من ثلاثين عاماً ؟ !

وقد يتراءى إلى أذنيه هذا السؤال الحائر على شفاههم ، فيغمزهم بطرف عينه . ويقول لهم هامساً : إن زوجتي ، هذه الدجاجة العجوز ليست من العظمة بحيث تستطيع أن تنجب عظيماً مثلي !!

وكانت زوجته تتورعليه ، ولم تكن بأقل غرابة من زوجها ، فقد كانت امرأة فلاحة ، غليظة الطبع ، حادة المزاج ، لا تبدو إلا غاضبة ، مكشرة ، إذا مشت ، فعلى رؤوس أصابعها ، فتبدو ، وكأنها تقفز قفزاً ، واهتز أعلاها ، وامتدت أردافها !

وكانت على شجار دائم مع زوجها ، وكان هو يخافها ، ويتحاشى وقاحتها ، ولكنه لم يكن يكف عن التحرش بها ، ليضحك منها !

وكان الزبائن يضحكون لهذا الشجار الدائم ، ويغرقون في الضحك ، حين يبدأ العم طون يسخر من زوجته ! وتبلغ الضجة أعلاها ، حين تشير الزوجة الهرمة إلى زوجها المنفوخ ، وتقول : صبراً ... صبراً ، أيها المتكرش الكسول ، سيأتيك يوم تنفجر فيه هذه النفخة الكذابة ... انك والله لرجل كسول ، لا تصلح إلا لربطك مع الخنازير !!

والعمة طون ، مولعة بتربية الدجاج وتفريخها ، وكان لها في هذا المضمار باع طويل وخبرة واسعة ، ولم تكن لتخلو أكبر الموائد في باريس من دجاج العمة طون !

على هذه الحالة مضى ركاب الزمن بالعم طون ، يمزح ويمرح ويبيع الكونياك ، حتى حدث أن أصيب بما أقعده عن العمل ، وقلب حياته رأساً على عقب !.. دب الشلل في جسمه ، ولم يعد يستطيع الحركة ، فأعدوا له سريراً في مكان يشرف على ما يجري في الحانة ، وأرقدوه فيه

وقلت نكاته ، ولكنه لم يتخل عن مرحه وظرفه ، فهو مازال يبادل أصدقاءه النكات وهو راقد على ظهره .. كان يميز الأصوات فيعرف أصحابه !

— مرحباً سلستين ، يا ولدى . . ألست أنت سلستين ؟

فيرد عليه سلستين : كيف حالك يا عم ؟ أوه ! . . . لم أعد أصلح للطيران أبداً !!

وتثور العمة طون ثورتها المعهودة ، وتقول : انظروا كيف ينام على ظهره كالثور المجوز ، ولم يعد فيه نفع ولا فائدة !

وكم يكون منظره مثيراً للضحك حين يراها ، وهى تقترب منه كالصاعقة ، فينكمش فى فراشه ، خائفاً وجلا من ضرباتها التى يتلقاها على بطنه الكبير ، فيكون لها دوى الطبل !

وذات يوم أراد أن يلعب أحد الزبائن دوراً مضحكا ، على هذه المرأة العجوز التى لا يعجبها العجب ، فقال لها ، أتدرين ماذا كنت أفعل لو كنت مكانك ؟

فرمته بنظرات ذبيحة ، وقالت له : ماذا كنت تفعل؟

فأجابها متكاناً الجد : إن جسد العم طون أشبه بفرن تتأجج فيه النار ، فلماذا لا تضعين تحته بعض البيض فينقس كما تفعلين مع دجاجك ؟ ! فهمست متعجبة : أيمكن هذا حقاً ؟

— ولم لا ؟ ما الفرق بين أن تضع البيض فى صناديق حارة وبين أن تضعه تحت فراش يبعث أكثر من هذه الحرارة ؟

وراحت العمة طون تفكر فى هذا الاقتراح ، وتجهد عقلها المتحجر فى التفكير فى هذا الاقتراح العظيم !!

وبعد ثمانية أيام ، جاءت إلى زوجها تحمل عشر بيضات ، وقالت له : لقد وضعت الآن عشر بيضات تحت دجاجتى السمراء ، وهذه عشر بيضات أخرى ، ضمها تحت ذراعيك ، وحافظ عليها لئلا تنكسر ! فصاح العم طون — ماذا تعنى ؟ !

— أعنى أنك سترقد على هذا البيض كما تفعل مع الدجاج ، وسننتظر ما يحدث !

ورفض العم طون بكل إباء وشمم ، أن يرقد على البيض كدجاجة صغيرة ، وحاول أن يحتج على تصرف زوجته ، ولكنها صاحت فيه ، ليس من المعقول أن تبقى هكذا نائماً على ظهرك ، تأكل وتشرب ، ولا تنفعنا بشىء !!

وأمام تهديداتها وغضبها الذى يتحاشاه ، قبل العم طون أن يضع البيض تحت ذراعيه ! وظل جامداً فى مكانه ، لا يتحرك خوفاً على البيض أن ينكسر ، وبدا عليه الاهتمام العظيم ، وقد حل الأمر على محمل الجد !

وسرعان ما سرى النبأ بين الزبائن ، فبدأ عليهم العجب ، وراحوا يتساءلون ، ترى كيف يفرخ الرجل !!

وما كادت تباغ الساعة الثالثة ، حتى ساءت صحته ، وبدا عليه ما يبدو على المرأة التى حانت ساعة وضعها ، وتصبب العرق من جبينه ، ولم يعد يسمع ضجة الناس المحتشدين فى الحانة يترقبون حدوث الأعجوبة !

وأذيعت العمة طون فرحة مستبشرة ، وقالت : لقد فقست دجاجتى السمراء سبع بيضات ، وفسدت ثلاث !

تخفق قلب العم طون ، وسأل نفسه : وأنا . . . كم من البيض سيفسد ؟! وأحس بدغدغة تحت ذراعه الأيسر ، تخفق قلبه ، وبكل احتراس ، مد يده تحت ذراعه ، وقبض على شىء ناعم صغير ، كان يحاول التملص منه بقوة ، فخاف عليه ، وأرخى أصابعه ، فقفز على لحيته ، ثم على صدره !

كانت الحانة محتشدة بالناس ، فلما رأوا الحيوان الصغير يقفز على صدر العم طون اندفعوا نحوه ، والتفوا على شكل دائرة حول فراشه ، وشقت الجمع المحتشد العمة طون ، وأمسكت بالكتكوت الصغير ، وهى أسعد ما تكون ! ! وصاح العم طون فجأة :

وهذا واحد آخر يلعب تحت ذراعى اليسرى !

وثارت العمة عن ذراعيها ، واستعدت كأمهر قابلة ، لاستقبال الكتكوت الجديد ، وأخذ الحاضرون يفحصون هذه الكتاكيت فى كثير من الدهشة والعجب والحيرة !

وقفزت أربعة كتاكيت أخرى ، فانتفخت أوداج العم طون لهذا النصر الباهر الذى فاق به الدجاج الممتاز ، العريق النسب !. ثم صاح فى صوت مرتفع فى حين كانت زوجـــه قد حملت الكتاكيت لتعطيها لدجاجتها السمراء — وهذا واحد آخر . . .

وارتفعت ضجة العجب فى جو الحانة . . . وأصر العم طون على الاحتفاظ بآخر الكتاكيت فى فراشه . . . فقد كان يشعر بحب عميق لكتاكيته ، كما تشعر المرأة نحو وليدها ! ولكن العمة طون لم تقتنع ، فأخذت منه الكتكوت الأخير بكل قسوة ، وأوصلته لعناية دجاجتها السمراء !

وانصرف القوم ، وهم يفسرون هذه الحادثة الغريبة فى بابها ، شتى التفاسير ، فاقترب صاحب الاقتراح الخبيث فى أذن العم طون وهمس فيها : أتدعونى لحفلة الغداء أيها العم . . . أليس كذلك ؟!

فأجاب العم طون طبعاً . . طبعاً يا ولدى !

(البصرة عراق) يوسف يعقوب حداد